

الفكر الحر في القرن الثامن عشر قبل الثورة الفرنسية وبعدها

بقلم: ألبير بايه (*)

ترجمة وتعليق: د. عاطف علبي

انتصار الفكر الحر

سيعاقبون بحكم الموت، وإن المرتدين سوف ينفون، وأن المعفو عنهم يتوجب عليهم أن يعمدوا أولادهم لدى الاكليروس.

على أن السلطة لا تذهب إلى مثل هذه التصرفات ضد الجنسينيين⁽⁴⁾، إلا أنها بناء لطلب الجزويت⁽⁵⁾، لا تتوقف عن التحريض ضدهم ومضايقتهم، فالقضاة المتهمون بالتعاطف معهم سُجنوا.

وأخيراً «الفلاسفة»، ورثة «المفكرين الأحرار» عوملوا معاملة المشبوهين. ففولتير⁽⁶⁾ يساق إلى الباستيل⁽⁷⁾ وديدرو⁽⁸⁾ إلى فنسين⁽⁹⁾؛ وفي العام 1752 صدر قرار من مجلس الوزراء، يأمر بإتلاف جزءين من الانسكلوبيديا؛ والفكر لهولباخ⁽¹⁰⁾ أحرق، والقاموس الفلسفي أحرق؛ وفي العام 1762 صدرت مذكرة بحق روسو⁽¹¹⁾ فاضطر إلى الهرب.

ويشور الحقد على الفكر الحر في منتصف القرن،

«إن العصر الكبير أيها السادة، وأقصد القرن الثامن عشر»، بهذه العبارات بدأ ميشليه⁽¹⁾ في أحد الأيام، أحد دروسه في الكوليج دي فرانس. من وجهة نظر الفكر الحر، فإن عصر الفلاسفة هو بالفعل العصر الكبير.

إن السلطات العامة من دون شك استمرت في الصراع العتيد ضده (الفكر الحر - المترجم)، وكانت قد بدأت أيام الملك - الشمس⁽²⁾.

فالبروتستانت ما زالوا يضطهدون بشكل وحشي. وغداة موت لويس الرابع عشر، حاول البعض منهم مجدداً ممارسة طقوسهم. إنما صدر في العام 1724 «إعلان» يعلم الجميع أن أي شخص حصل اقتناع أنه شارك في «جمعية غير شرعية» سوف يرسل إلى سجن الأشغال الشاقة⁽³⁾، وإن الرعاة البروتستانت

(*) هذا البحث التاريخي للفكر الحر في القرن الثامن عشر، قبل الثورة الفرنسية وبعدها. مترجم عن كتاب ألبير بايه، تاريخ الفكر الحر: Histoire de la libre Pensée par Albert Bayet P.U.F édition, Paris 1972 ولجعله في متناول فهم الغير رأينا من الضرورة إضاءته بالعديد من الحواشي التفسيرية سيما بالنسبة لأسماء الأعلام، فكانت هذه التعليقات في آخر الترجمة.

ففي العام 1757 يصدر اعلان ملكي متخطياً براءة نانت⁽¹²⁾ ومتخطياً إعلان 1724 ويجوي المقطع التالي: «كل من حصل اقتناع انهم وضعوا أو كلفوا بوضع وطبع كتابات ترمي إلى مهاجمة الدين، والتأثير بالعقول، والمساس بسلطتنا وازعاج النظام والهدوء في مقاطعاتنا، سوف يعاقبون بالموت⁽¹³⁾».

بعد عشر سنوات، يوافق معهد اللاهوت الذي كان قد حكم على مارمونتيل⁽¹⁴⁾، المتهم بإطراء التسامح في روايته، على التدابير المتخذة من قبل السلطة: فيقول ان الأمير استلم «السيف المادي» ليمنع «ليس فقط العقائد التي تقطع أواصر المجتمع وتحدث كل أنواع الاجرام كالمادية والتأليهية⁽¹⁵⁾ والإلحاد، وإنما أيضاً كل ما يمكن أن يهز أسس العقيدة الكاثوليكية⁽¹⁶⁾».

كل هذا يدل على أن التعصب يشتد بجهد يائس، إنما كانت، هذه المرة ردة فعل المدافعين عن الفكر الحر قوية.

فالجنسينيون الملاحقون من قبل الجزويت، والسلطة بدأوا المعركة في قلب البرلمان. وبعد مغامرات عدة، انتهوا إلى الحصول على حكم ضد الجزويت، في العام 1762 وعلى طردهم (من البلاد - المترجم) في العام 1764.

أما البروتستانت فلا يمكنهم الحيلولة بينهم وبين الإعدام والإرسال إلى السجن مع الأشغال الشاقة لعدد كبير منهم، إنما يصدف أن يقف بعض السكان الكاثوليك إلى جانبهم، وان يصاب الجنود المكلفون بتوقيف المهاجرين بالقرف من هذا العمل، وأن يتجنب الضباط مباغته البروتستانت في الصحراء. صحيح ان التعصب الديني يسود في أماكن أخرى. فكالاس⁽¹⁷⁾ وسيرفن⁽¹⁸⁾ حكما. إنما الرأي العام يغتاط، فحملات فولتير في فرنسا لها صدى عميق: إعادة الاعتبار لكالاس، وتبرئة سيرفن هما صفتان موجهتان ضد التعصب. وضد «الفلاسفة» كان

تصرف السلطة عنيفاً جداً ومتردداً حيناً. فالبعض منهم محظي أحياناً، والأنسكلوبيديا تحديداً فعين عنها في القصر. إنما دراما فظيعة تنفجر عندما يتهم الفارس الشاب دي لابر بأنه لم يلق التحية لموكب وانه قرأ كتاباً سيئاً، منها «القاموس الفلسفي» فيقلع لسانه، ويقطع إرباً، ويحرق جسده. وهذه المرة أيضاً يظهر فولتير على الساحة: ويصبح الجلادون هم المتهمين.

ولا يكفي الفلاسفة بفضح بعض الظلم المشين. ويبدأون ويعزم أكيد معركتين، الأولى ضد الكنيسة، والثانية ضد الدين.

فالمعركة ضد الكنيسة، ضد مراتبتها، ضد نظامها، ضد امتيازاتها السياسية وتأثيرها على السلطة الشرعية، يؤخذ بها من دون تحفظ. فإنسان وقور كمونتنسكيو⁽¹⁹⁾ لا يتردد في كتابة: «ان البابا هو معبود قديم يبخر بمحض العادة». وفولتير يحارب بسخرية ويتخذ شعار «لنسحق السفاله!»، وهلفتيوس⁽²⁰⁾ وهولباخ ليس بأقل عنفاً.

أما المعركة ضد الدين بحد ذاته، ضد الكشف، ضد أركان العقيدة (علم اللاهوت)، فهي أكثر تنوعاً وأكثر اضطراباً، لأن الفلاسفة ليس لديهم بالنسبة لهذه النقطة مجموعة أفكار مشتركة. فمونتنسكيو كاثوليكي وليبرالي، وفولتير بالرغم من بعض الحنو للأناجيل⁽²¹⁾ فإنه يعتقد وبثبات بلاله نيوتن. أما ديدرو فهو ملحد أحياناً وهوباخ هو ملحد تغرضاً. وروسو في «اميل» يعلن أن «حياة وموت يسوع يعودان لإله». فبسبب هذه الاختلافات، فإن الهجمات الموجهة ضد الايمان هي ذات أوجه مختلفة، إنما هي على وجه العموم عنيفة. ففولتير يخضع نص الأناجيل للنقد القاسي، الذي يمهّد الطريق للتأويل (للكتاب المقدس خاصة) العقلاني المعاصر. وهوباخ ينشر نظرية لاهوتية سهلة النقل (بمعنى عملية - المترجم) ومؤلفاً بعنوان «العدوى المقدسة - أو التاريخ الطبيعي

الكبير للأخوة. على أن هذا العصر ذهب إلى أبعد من ذلك. لقد استخلص، ولأول مرة فكرة «حرية التفكير».

هذه الحرية التي غالباً ما أخذ بها الناس خلال التاريخ، وكما رأينا، باعتبارها مصدر كل التقدم الفكري. إنما لم يعلنوها أبداً قبل القرن الثامن عشر. صحيح أن «براءة ميلانو»⁽²⁷⁾ تمنحها في الواقع للوثنيين والمسيحيين، براءة نانت» تمنحها في الواقع للكاثوليك والبروتستانت، لكن أيأ من هذين النصين لم يجعل من حق كل إنسان في أن يفكر بحرية مبدأ من المبادئ.

والتسامح بحد ذاته، ومهما كان كريماً في مؤسسته، لا يفرض منطقياً هذا المبدأ. ف «تسامح» أي تحمل تنوع المعتقدات والآراء، لتقدم رائع في عصر كالاس والفارس دي لوبار أنه شيء آخر غير «السماح» للإنسان بأن يكون كاثوليكياً أو بروتستانتياً، وشيء آخر أيضاً التأكيد على أنه باختيار هذا الإيمان أو هذه العقيدة يستعمل حقه.

فهذه الفكرة الغربية عن الماضي هي حديثة، وهي جريئة إلى درجة أن الفلاسفة يترددون، لفترة من الزمن، للقبول بها بتسامحها. من الأكيد أن فولتير ومونتسكيو يحتفلان عن طيبة خاطر «بالحرريات» الانكليزية، من دون الإصرار على كون الكاثوليك منغصّي العيش في انكلترا. إنما مونتسكيو يكتب في «روح القوانين»: «عندما يكون الإنسان سيداً للأخذ بديانة جديدة أو عدم الأخذ بها، في دولة ما، فلا يجوز إقامتها، وإذا ما كانت قائمة فيجب التسامح معها»⁽²⁹⁾. لكن فولتير يكتب في بحثه عن التسامح: «أنا لا أقول أن جميع الذين ليسوا من ديانة الأمير عليهم أن يتقاسموا المكانة والشرف مع من هم من الديانة المسيطرة». فمثل هذه الأقوال تبرهن على أن الفلاسفة الأكثر ما يكون جسارة لا يتجرؤون على الذهاب دفعة واحدة وبانفتاح كلي إلى حرية التفكير. لكنهم يذهبون إليها في نهاية المطاف.

للخرافة. وهو يرى في الدين «عصبة مؤلفة من بعض الدجالين ضد الحرية، والسعادة والراحة للجنس البشري»⁽²²⁾. وعلى العكس، فإنه لا يوجد اختلافات ولا تردد، عندما يتعلق الأمر، بالنسبة للفلاسفة، بفضح ولعنة التعصب. فبالنسبة لمونتسكيو و«روح التعصب» هو «روح الضلال»⁽²³⁾. وبالنسبة لفولتير فالتعصب «ملأ الأرض بالمذابح»⁽²⁴⁾. وبالنسبة لديدرو فهو «مجموعة من الأمثال المقيتة»⁽²⁵⁾. وبالنسبة لهلفتيوس فإن «سيف التعصب هو أقطع آفات البشرية»⁽²⁶⁾. وبالنسبة لروسو فالتعصب، أي الدين الذي يصبح مطلق التمييز ومبتدأ، يجعل الشعب دموياً بحيث «لا يعود يتنفس سوى الاغتيال والقتل»⁽²⁷⁾.

إن «التسامح» في النتيجة يقدم كفضيلة. والفلاسفة الذين يقدمونه بهذه الصفة ويمجدونه لا يعدون. ومن أول أوائلهم فولتير وبحته الشهير حول التسامح، الذي وضعه غداة قضية كالاس. فالتسامح هو، حسب فولتير من «القانون الانساني». والقانون الانساني لا يمكن أن يقوم إلا على القانون الطبيعي؛ والمبدأ الأساسي، المبدأ العالمي لكل منها يعم الأرض: «لا تفعل ما لا تريد أن يفعله الآخرون بك». ولذلك لا نفهم كيف، حسب هذا المبدأ، يمكن لإنسان ما أن يقول للآخر «أعتقد بما أعتقد... وإلا فأنتك هالك لا محالة».

ويتابع فولتير «لا ضرورة لفن كبير وبلاغة عميقة للبرهنة على أنه على المسيحيين أن يتسامحوا مع بعضهم البعض. وأذهب إلى أبعد من ذلك وأقول لكم أنه يتوجب علينا أن ننظر إلى كل الناس كآخوة لنا. ماذا! أخي التركي؟ أخي الصيني؟ اليهودي؟ السيامي؟ - نعم، ومن دون أدنى شك؛ ألسنا كلنا أبناء نفس الأب ومخلوقات نفس الإله»⁽²⁸⁾.

وهذا شرف «عصر الأنوار»، الذي، جعل من التسامح مبدأ القانون الإنساني، ونتيجة للقانون

وقليلاً من الوقت بعد كتابة هذه الجملة الحذرة التي قرأنا يضيف فولتير: «أرجو كل قارئ منصف أن يزن هذه الحقائق وأن يصحبها وأن ينشرها. فالقراء اليقظون، الذين يتبادلون أفكارهم، يذهبون دائماً أبعد من المؤلف»⁽³⁰⁾.

وهذا يعني بوضوح أن فولتير لو كان يجزؤ على البوح بكل أفكاره لاختار الحرية. وهذا ما يفعله من جهة أخرى عندما يكتب: «ليس هناك من حرية لدى، الناس من دون حرية التعبير عن تفكيرهم»⁽³¹⁾. وفي الانسكلوبيديا نقراً: «قاعدة عامة: احترموا من دون انتهاك حقوق الضمير في كل ما لا ينص على الإطلاق عيش المجتمع. فالأخطاء النظرية لا تبالي بها الدولة»⁽³²⁾. وتقرأ لدى هولباخ: «إن حرية التفكير فيما يتعلق بالدين لا يمكن أن تسلب عن الناس إلا بظلمة سخيفة كما هي عديمة الفائدة»⁽³³⁾. وتقرأ لدى تورغو⁽³⁴⁾: «إن اتباع الضمير هو حق وواجب كل إنسان ولا يحق لأي إنسان أن يقدم ما لديه كقاعدة للآخرين»⁽³⁵⁾. فباسم هذا المبدأ المقرر، فإن «الفلاسفة» طالبوا بحرية النشر وحرية الصحافة.

إن حملات القرن الثامن عشر بجانب الفكر الحر لا تحرك فقط الشعور في فرنسا، فصداها ينتشر في كل أوروبا حيث الماسون الأحرار (الباقون الأحرار - المترجم)⁽³⁶⁾ يدعمونها. ومحمولة على لافايت وأصدقائه إلى أميركا، فهي تحرك حرب الاستقلال. أخيراً فهي تنتصر بسطوع عندما تصوت الجمعية الوطنية في العام 1789 على إعلان حقوق الإنسان والمواطن.

وغالباً ما لوحظ أن هذا النص المشهور يشير من وجهة النظر الفلسفية الاعتراضات⁽³⁷⁾. فأولاً «صوت عليه» بحضور وتحت رعاية الكائن الأعلى». واستعمال هذه العبارة يعطي الصفة الشرعية التأليه. ثانياً أن الاعلان لا ينادي بوضوح بحق كل إنسان بأن يفكر بحرية.

لكننا نقرأ في المادة العاشرة:

«لا يمكن أن يقلق أي إنسان لآرائه حتى الدينية، شرط ان لا يعكر تجليها النظام العام القائم بقوة القانون».

وتقرأ في المادة الحادية عشرة:

«إن الاتصال الحر للأفكار والآراء هو من أئمن حقوق الإنسان؛ فكل مواطن إذن بإمكانه أن يتكلم، ويكتب، ويطلع، بحرية، ضمن المسؤولية عن تعسف هذه الحرية في الحالات المحددة بالقانون».

ولقياس ثمن هذا الانتصار للفكر الحر، يكفي تذكر ما كان عليه منذ العصر اليوناني، حيث كان، في كل مكان، يطالب بحق التفكير خارج إطار الديانات التي تخص السلطة يلاحق. فالوثنيون يضطهدون المسيحيين، والمسيحيون يضطهدون الوثنيين؛ والأورثوذكس يضطهدون الهراطقة؛ فترفع المحارق التي يحرق عليها الرجال والنساء، وعبرهم يحاولون حرق الفكر؛ والجلادون يتفننون في جعل التعذيب أكثر وأكثر شراسة؛ وتندلع الحروب التي لا يُتجنب فيها حتى النساء والأطفال. ومع ذلك يأتي يوم يكس هذا الماضي الكئيب. يأتي اليوم الذي يقرر فيه ان لا يقلق أحد لآرائه، وحيث يعلن بأن «حرية اتصال الأفكار» حق لا يجوز التصرف فيه ومقدس، وهذا اليوم كيف لا يقال فيه أنه من القمم المضيئة في التاريخ.

الفكر الحر والثورة الفرنسية

إن إعلان حقوق الإنسان، لو قبل به الجميع، لكان من المفترض أن يضع حداً نهائياً للخلافات، وبالتأكيد ليس بين المؤمنين والعقلانيين، وإنما للخلافات حول الصراعات السياسية العائدة للدين. لكن لسوء الحظ فالاعلان لم يقبل به الجميع. فمنذ التساسع والعشرين من آذار 1790، فإن الكرسي الرسولي أدان بعنف المواد المؤمّنة لكل إنسان «حرية التفكير كما يرغب، حتى فيما يتعلق بالدين، وبأن يعبر

انه لا وجود مطلقاً لكهنة جديدين وأن المحلفين الذين أصبحوا جيرونديين⁽⁴³⁾ لا يقلون خطراً عن غير المحلفين.

والكثير من أنصار الثورة هم في الحقيقة أعداء حازمون للدين، لأنهم يرون فيه قوة رجعية تضع القوة في وجه العقل. فهم لا يحاربونه فقط على المستوى السياسي، وإنما أيضاً على المستوى الفكري. فكوندورسيه⁽⁴⁴⁾ في «نظريته الاجمالية الشهيرة للجدول التاريخي لتقدم الفكر الانساني». يقول متحدثاً عن روما: «سوف نعترض لهذه المدينة المسيطرة، التي تجرب في هذا العالم سلاسل الطغيان الجديدة؛ فكهنيتها هم قاهر الساذجة الجاهلة بأفعال مزيفة بفظاظة، وخالطوا الدين بكل صفقات الحياة المدنية ليتصرفوا حسب اهوائهم الجشعة او كبريائهم، ومقاصصون باللعنة، الفظيعة لإيمان الشعوب، أقل معارضة لقوانينهم، ولديهم في كل المقاطعات جيش من الرهبان المستعدين دوماً لتمجيد الرعب الخرافي بدجلهم، وكل ذلك ليعبثوا بقوة اكبر التعصب الديني».

فتحت شعار هذه الأفكار ينظم بجهد عدد معين من الممثلين للبعثات، حملة واسعة «للخروج من النصرانية».

وفي تشرين الأول 1793 كتب أندريه دومون من آبيشيل انه أعلن أمام الشعب أن الكهنة هم «مهرجون أو متكبرون»⁽⁴⁵⁾ يرتدون الأسود ويقومون بالسعدنات لابتزاز المال». وفي الوقت نفسه، وفي نقر⁽⁴⁶⁾ فإن الممثل فوشيه⁽⁴⁷⁾ يعلن (زوراً) أنه مكلف من قبل الجمعية التأسيسية «بأن يستبدل العبادات الخرافية والخبثية التي لا يزال يتمسك بها الشعب، لسوء الحظ، بعبادة الجمهورية والأخلاق الطبيعية». ولا يكتفي «بعلمنة» المقبرة، إذ يأمر بأن يكتب عند مدخلها «الموت هو نوم أبدي». وفي السادس عشر من تشرين الأول 1793، يحصل شوميت⁽⁴⁸⁾ على

عن تفكيره ظاهرياً وبحصانة». فالمعركة ابتدأت، وأصبحت عنيفة في تموز 1790، عندما صوتت الجمعية على الدستور المدني للأكليروس (رجال الدين) وفرضت على كل الكهنة أن يقسموا «اليمين المدني». القسم الأكبر منهم رفض ذلك فأصبحنا من جهة أمام «الدستوريين»، بمعنى «المحلفين»، ومن جهة أخرى أمام «المتحررين»، أي «غير المحلفين»⁽³⁸⁾. ومنذ العام 1792 عومل هؤلاء - غير المحلفين - كأعداء الشعب. ومعتبرة نشاطهم «من الأسباب الأولية التي تشكل خطراً على الوطن» أصدرت الجمعية التشريعية مرسوماً توجب عليهم فيه مغادرة فرنسا تحت طائلة السجن لمدة عشر سنوات أو تحت طائلة النفي إلى «الغويان» في بعض الحالات. وهذه القسوة اشتدت عندما لجأ «الشوان»⁽³⁹⁾ إلى السلاح للدفاع عن العرش والمذبح. وفي 18 آذار 1793 أصدرت الجمعية التأسيسية مرسوم عقوبة الإعدام ضد الكهنة الذين يتورطون في الاضطرابات المتأتية عن التجنيد. وفي نفس اليوم تقرر أن الكهنة الذين يوقفون «في حالة الابعاد» يقدمون أمام هيئة محلفين عسكرية ويعاقبون بالموت خلال أربعة وعشرين ساعة. وفي 29 و 30 فاندوير السنة الثانية للثورة⁽⁴⁰⁾. صدر قانون فظيع يعاقب بالموت كل رجل دين متواطئ مع العدو الخارجي أو الداخلي، مع التأكيد على أنه لأجل إثبات هذا التواطئ يكفي الإقرار الخطي المذيل بتوقيعين أو الشهادة الشفهية المنتظمة لشاهدين. ونفس هذا القانون يحكم بعقوبة النفي كل كاهن محلف وشي به للا مواطنية⁽⁴¹⁾ من قبل ستة مواطنين من المقاطعة.

فكما يلاحظ «أولار»⁽⁴²⁾ فإن هذا التشريع الجديد يشير إلى تغيير لافت للنظر في سياسة الثورة تجاه الكنيسة. ففي البدء يؤيد رجال الدين «الدستوريون» ضد رجال الدين «المتبردين». فيوضع الكهنة الجيحدون في وجه السيئين. أما في العام 1793 فيُقدر

العقل». والجمعية التأسيسية تصدر قراراً بهذا التغيير للإسم، فتأخذ الفنانة مكانها إلى المنصة وتحصل على العناق، وفي الأيام التي تلي، أصبح الكثير من كنائس باريس معابد العقل. وفي المقاطعات، نظمت العبادة الجديدة باخلاص ومهابة: فلآهات العقل هنا لسن كما في باريس فنانات، وإنما فتيات جيلات وطاهرات ينتمين إلى نخبة البورجوازية.

هذا ومعركة «الخروج من النصرانية»، منتعشة بـ «المهرتين»⁽⁵²⁾، تبلغ في العاصمة حداً من العنف يجعل البلدية تصدر في 24 أيلول 1743 مرسوماً يقضي «بأن تغلق على الفور كل كنائس ومعابد مختلف الديانات والعبادات القائمة في باريس»، «وان كل من يطلب فتح معبد ما أو كنيسة ما سوف يوقف كمشبوه»، «وان الكهنة سيطرودون من مختلف أنواع الإدارة العامة ومن كل وظيفة في المصانع الوطنية كذلك».

هذه التدابير، التي تذكر بعنفها بالقوانين الموجهة في القرن الرابع ضد العبادات الوثنية، وفي القرون الوسطى ضد الهرطقة، هي الطلاق اللفظ مع مبدأ الحرية المكرس في إعلان حقوق الإنسان. ولذلك فمنذ الحادي والعشرين من العام 1793 فإن رويسبير⁽⁵³⁾ يحتاج لدى اليقاقة⁽⁵⁴⁾ وبشدة ضد من يدعون أن الجمعية التأسيسية «ألغت العبادة الكاثوليكية». «كل الجمعية التأسيسية لم تقم على الإطلاق بهذه الخطوة المتهورة. الجمعية التأسيسية لن تقوم بها أبداً. إذ ليس عبثاً أنها نادت بإعلان حقوق الإنسان والمواطن في حضرة الكائن الأعلى». ومتابعاً خطابه يعلن رويسبير: «ان الإلحاد هو أرسطراطي» ويشهر بالمخرجين من النصرانية معتبراً إياهم خونه وكعملاء للعدو.

ومن جهة يقول دانتوت⁽⁵⁵⁾ في الجمعية التأسيسية: «إنني أطالب بالغاء هذا التقنع المعادي للدين في قلب الجمعية التأسيسية. والأشخاص الذين يريدون نقل

الموافقة على قرار فوشيه من بلدية باريس. وفي 31 تشرين الأول، وفي ردشفور فإن لنيلو يحول كنيسة الرعية إلى «معبد العقل والحقيقة»، وإلى هذا المعبد حضر ثمانية كهنة وراع بروتستانت ليخلعوا الثوب⁽⁴⁹⁾.

الجمعية التأسيسية لم تذهب بعيداً بالقدر الذي ذهب إليه ممثلوها المكلفون القيام بمهمة. فلقد تجنب أن تهاجم بشكل مباشر حرية ممارسة الشعائر. إنما في آب 1793 نظمت حفلة، حيث كُرِّم تمثال الطبيعة بإراقة الخمرة⁽⁵⁰⁾. والقرارات التي أحلت التقويم الجمهوري مكان التقويم الغريغوري أعلنت انه يجب استبدال أسماء «القديسين» بـ «أسماء الأشياء التي تشكل الثروة الوطنية الحقيقية». وفي الخامس عشر من برومير السنة الثانية للثورة، فإن الجمعية التأسيسية أعلنت ونشرت خطاب ماري جوزيف شنيه⁽⁵¹⁾، الذي يطالب بأن يحل محل «الخرافات المخلوعة» الديانة العالمية الوحيدة «التي لا تحرق بخور العائلة الكبرة إلا أمام مذبح الوطن - الأم والألوهية المشتركة. واستجابة لهذا النداء، فإن سكان دي - اورانجيس، الذين كان شفيهم القديس بليز يرمون تمثاله ويضعون مكانه تمثال بروتوس الذي يعطون اسمه لبلدتهم.

وقد تصاعدت الحركة، المضادة للكاثوليكية لدرجة انه في باريس وفي 17 برومير، فإن مطران غابل يتقدم من الجمعية التأسيسية مع احدى عشرة من كهنته معلنين تخليهم عن وظائفهم الكهنوتية ويعتمرون القبة الحمراء. وعلى الأثر يحذو حذورهم عدد كبير من رجال الدين، أعضاء الجمعية التأسيسية. وفي 20 برومير من السنة الثانية للثورة (10 أيلول 1793) فإن المقاطعة وكذلك البلدية تنظمان حفلة كبيرة في كاتدرائية نوتردام يضأ خلالها «مشعل الحقيقة»، أمام «مذبح العقل»، في حين أن فنانة من الأوبرا تمثل الحرية. ويتوجه وفد ليطالب من الجمعية التأسيسية بأن تدعى كنيسة نوتردام، من الآن فصاعداً، «معبد

بقايا الكنائس ليقبلوا عن الأخذ بالأمر كلعبة أو غنيمية. إني أطلب أن يوضع حد لذلك»... .
وقليلاً من الوقت بعد الحملة الموجهة ضدهم من قبل رويسبير أرسل المهبرتيون إلى المقصلة. ولجنة السلامة العامة اقترحت مشروع مرسوم تنص المادة الأولى منه على ما يلي: «كل عنف وكل تدبير معادٍ لحرية ممارسة الشعائر ممنوع»، لقد انتحر الفكر الحر في حافية النص. إنما أولاً فإن لجنة السلامة العامة نفسها لم تجرب، على التطبيق ويعزم لمبادئها وكسر قرارات المثليين بمهمة المعادية لحرية ممارسة الشعائر؛ ثانياً فإن موقف رويسبير نفسه يبقى غير واضح. من دون شك أن رويسبير - مخلص عندما يحكم بالإعدام «الحاد» بعض المهبرتين، بعضهم وليس جميعهم، لأن هير نفسه كان يقوم من ذاته بامتداح «يسوع العاري»⁽⁵⁶⁾. وهو ليس أقل صدقاً وإخلاصاً عندما يطالب بـ «حرية ممارسة الشعائر، من دون أن يستثني العبادة الكاثوليكية، وعندما يوافق ضد البلدية على إعادة فتح الكنائس. لكن، عندما تخلص من «المهبرتين» أو عز إلى صديقه كوتون⁽⁵⁷⁾ بتاريخ 17 جرمينال من السنة الثانية للثورة، بأن يعلن إيداع مشروع العشارية المكرسه للأبدى. فعبادة «الكائن الأعلى» تصبح في تفكيره «ديانة الدولة» الجديدة. وهذه الديانة ليست بمتعصبة لأنها تقبل بوجود العبادة الكاثوليكية والعبادة البروتستانتية والعبادة الاسرائيلية، لكنها متعصبة، بمعنى ضد ذاتها، عندما ترسل إلى المقصلة المطران السابق غابل، الذي حاز التصفيق الحاد قليلاً قبل الجمعية التأسيسية، معيبة عليه وقوفه بوجه حرية المعتقد، وهي عنصرية عندما تعلن أن «الملحدون» أناس فاسدون وإنهم ملحدون كل الذين لا يفكرون كرويسبير؛ أخيراً فهي متعصبة عندما تعلن بموجب مرسوم 18 فلوريال من السنة الثانية للثورة أن «الشعب الفرنسي معترف بوجود الكائن الأعلى وبخلود الروح» وإن العبادة الجديدة بالكائن

الأعلى هي ممارسة الإنسان لواجباته. استقبل الكاثوليك بحرارة الحكم المتخذ ضد «المهبرتين»، لكنهم لم يستطيعوا أن لا يسروا في «عبادة الكائن الأعلى» آلة حربية موجهة، على حساب الدولة، ضد الديانة الرومانية والكثير منهم يحبون في رويسبير الرجل الذي احترم النار في شمال الإلحاد. إنما ينتظرون منه الأكثر والأفضل.
ويقول باريس⁽⁵⁸⁾: «إن الانتصارات انصبت بعد رويسبير بغضب!». فغداة فلوريس بدا الارهاب من دون غرض. ورويسبير تبع إلى المقصلة الذين كان قد أرسلهم. و«عبادة الكائن الأعلى» غارت في النسيان. وفي العام 1794 فصلت الجمعية التأسيسية بين الكنيسة والدولة، وخلال العام 1795 أعلنت حرية العبادات، وسمحت لأعضاء الكليروس باستعمال الكنائس، موجبة عليهم الاعلان التالي: «اعترف بان كلية المواطنين الفرنسيين هي السلطة، وأعلن الخضوع والطاعة لقوانين الجمهورية». إنما هذه التدابير لا تكفي لإعادة السلام الديني. فمن جهة فإن حقد اليعاقبة ضد الأكليروس كان حياً للغاية لينطفئ فجأة؛ ومن جهة ثانية، فإن عدداً من الكهنة كان يقاتل الجمهورية بشكل شبه علني. ولذلك ففي زمن حكومة المديرين⁽⁵⁹⁾ (القناصل) فالفكر الحر المنتعش من قبل العقلانيين الذين يجمعهم المعهد الوطني، دفع السلطات العامة لمحاربة الكاثوليكية جهاراً. وفي الخامس عشر من بلوفير من السنة الخامسة للثورة، وجه ثلاثة مدراء للجنرال بونابرت رسالة يدعونه فيها إلى «تخيط مركز وحدة الكنيسة إذا أمكن الأمر» وللإقامة في روما «لشكل من الحكومة الداخلية الذي يجعل يحكم الكهنة مكروهاً ومقيتاً». فضلاً عن ذلك، وبغرض محاربة الكاثوليكية نظمت حكومة المديرين «عبادة العشارية»، أي مجموع حفلات تختص «لرعاية الأخوة بين المواطنين وشدهم إلى الدستور وإلى الوطن وإلى القوانين». فباحلال

ويعلم: «أن المجتمع لا يمكن أن ينوجد من دون عدم المساواة في الثروات، وعدم المساواة في الثروات لا يمكن أن يكون من دون دين. فعندما يموت انسان ما من الجوع إلى جانب آخر في فيض، فليس بإمكانه القبول بهذا الفرق لو لم يكن هناك سلطة تقول له: «ان الله يريد ذلك، يريد أن يكون هناك فقراء وأغنياء، إنما فيما بعد في الأبدية فالقسمة ستكون غير ما هي عليه الآن».

فياسم هذه الأفكار يضع بونابرت نصب عينيه هدفاً ألا وهو الحصول من البابا على «إعادة تنظيم الكاثوليك في فرنسا وفي طاعة الجمهورية».

ولتهيشة الأرضية يبدأ بالإقلاع عن سياسة المديرين. فالكهنة الموقوفون، غداة الثامن عشر من فركتيدور أطلق سراحهم. وللأربعين الف شوان الذين لا يزالون يمسون بالريف، يعرض بونابرت الهدنة وحرية المعتقد، إذا ما توقفوا عن القتال، خلال عشرة أيام، وبالفعل توقف القتال. بعد ذلك فإن القنصل الأول ذهب مباشرة إلى الموضوع: ففاوض الكرسي الرسولي حول وضع «معاهدة بابوية».

إن «نص الاتفاق بين الحكومة الفرنسية وقداية البابا بيوس السابع» معروف من الجميع. فلسن نحفظ منه هنا إلا بما يهم تاريخ الفكر الحر.

فالفكر الحر يربح هنا بنقطة: الديانة الكاثوليكية لا تعلن حرفياً «ديانة الدولة»، إنما حرية المعتقدات مضمونة. لكن النص الذي قبل به بونابرت يعترف «بأن الديانة الكاثوليكية البابوية الرومانية هي ديانة الغالبية العظمى من الفرنسيين، وبهذا المعنى فهي في الواقع داخلية في الدولة. فالقنصل الأول يسمي المطارنة الذين يمنحهم البابا المؤسسة الشرعية، والمطارنة يسمون الكهنة الذين يفترض أن يختاروا من بين رجال الدين الموافق عليهم من الحكومة. ويحصل

الريكادي محل الأحد وبمواجهة مذبح الكنيسة «بمذبح الوطن»، تريد السلطات العامة، ولا تخفي ذلك، «القضاء لا شعورياً على الديانة الرومانية». وهذه الارادة نفسها هي التي تحملهم على مؤازرة جهد محبي الرب⁽⁶⁰⁾ الذين يحاولون تنظيم نوع من الكنيسة العقلانية التي تجدد إله العقل» وتدعو إلى حب الوطن وحب الجمهورية.

فرداً على تصرف حكومة المديرين هذا، أجاب الأكليروس مدعوماً من قبل الملكيين، بأن غطى بالتهكم «التهريج المدني». وكهنة النظام القديم أخذين بتعليقات لويس الثامن عشر أعلنوا ان الاعتراف بقوانين الجمهورية يعني «الثورة على السلطة الشرعية»، «والضلوع بكل الجرائم الثورية»، «وحمل الفضيحة والرجس حتى داخل المعابد».

وبقدر ما دامت حكومة المديرين فقد كان هناك، على الأقل، حرب باردة بين الجمهورية والكنيسة، هذا، وفي قسم كبير منه، فإن الانقلاب السياسي الثامن عشر من فركتيدور كان موجهاً ضد «الخطر الأكليريكي»، فقانون التاسع عشر من فركتيدور أوجب على كل رئيس ديني قسم كره الملكية والفوضى والتعلق والإخلاص للجمهورية ودستور السنة الثالثة للثورة، كما سمح للحكومة بإبعاد «الكهنة الذين يجدون في الداخل الهدوء العام». وعندما بدت فرنسا مهددة بالاجتياح بمسيره سوفوروف المنتصرة، عاد إلى الوجود نادي اليعاقبة. كما عاد إلى الوجود الصراع العنيف ضد الكهنة غير المخلصين.

هذا ومع بونابرت تغير الاتجاه بشكل مفاجئ. فشخصياً هو مفكر حر: «يقولون أني بابوي⁽⁶¹⁾: أنا لست بشيء من هذا. فقد كنت محمدياً في مصر، وأصبح كاثوليكياً هنا لخير الشعب. فأننا لا اعتقد بالأديان». لكنه يعتبر: «بأن المجتمع من دون دين هو كالسفينة من دون بوصلة»، «وانه ليس هناك سوى الدين الذي يعطي للدولة الدعم القوي والدائم».

أعضاء الأكليروس على مراتب كافية تدفع لهم من قبل الدولة. فهذه الامتيازات الممنوحة للديانة الرومانية تثير الاعتراضات الحادة في الأوساط التي لا يزال يسود فيها فكر الثورة.

وخلال المحادثات كان ممثل الكرسي الرسولي الروماني، قد كتب للبابا ما يلي: «إن الحرب التي ثارت للحيلولة دون هذا الاجتماع مع روما غير معقولة: فكل الهيئات القضائية، كل الفلاسفة، كل الزنادقة، وقسم كبير من الجيش، كلهم في غاية العداء. فقد قالوا في وجه القنصل الأول إنه إذا ما أراد أن يدمر الجمهورية ويعيد الملكية، فهذا الاجتماع هو الوسيلة الأكيدة... ففي النهاية فهو الوحيد الذي يرغب بهذا الاجتماع. وعندما قرر بونابرت قراءة المعاهدة البابوية أمام مجلس الدولة، فإن قراءته استقبلت ببرودة ذات معنى. وببعض العبارات الصوفية استقبلت بقهقهات من الضحك. وعند مغادرة كنيسة نوتردام، على أثر الانتهاء من الترتيل لتمجيد الله، فإن الجنرال «دلماس» قال للقنصل الأول «إنه لوعظ نافل. لا ينقصه سوى المليون شخص الذين قتلوا لتحطيم ما تريد إعادته».

فلماذا بونابرت الذي كان شخصياً لا أدرياً⁽⁶²⁾، رمى بعرض الحائط بكل الاعتراضات، سيما تلك التي أتت من الجيش؟ السواقع ان السبب لا مجال للشك به. وهو أن بونابرت الذي قرر نهائياً إقامة نظام الحكم الشخصي، فكر في أن يجعل من رجال السدين الكفيلين، والحراس، وحتى العملاء لهذا النظام. وللتأكد من ذلك يكفي مجرد قراءة نص القسم المتوجب القيام به من قبل الأساقفة، بمقتضى معاهدة البابا: «أقسم وأتعهد الله، على الأنجيل المقدسه، بأن التزم الطاعة والأمانة للحكم القائم بدستور الجمهورية الفرنسية. كما أتعهد أيضاً بأن لا يكون لي أي اتصال، وبعدم المشاركة بأي مجلس

كان، وبعدم القيام بأي اتصال، سواء أكان ذلك في الداخل أم الخارج، يمكن أن يكون ضد الحرية العامة؛ وإذا علمت أنه يحاك شيء ما يسبب ضرراً للدولة، في أبرشيته أو أي مكان آخر فلنني أشي به للحكومة»⁽⁶³⁾.

وغداة معاهدة البابا شعر بونابرت أنه قام بضربة معلم؛ فالبابا الذي كان يعترف بلويس الثامن عشر، اعترف بالقنصل الأول؛ والكهنة الذين بقوا في غالبيتهم متمسكين بالنظام القديم أدوا قسم خدمة النظام الجديد. فمستنداً إلى دعم الكنيسة، ظن الحكم الشخصي أنه أصبح متأكداً من المستقبل، وهذه القناعة تتأكد، بالطبع عندما يكرس في 2 ك2 1804، نابوليون امبراطوراً بنعمة الله من قبل البابا في كنيسة نوتردام.

مُستقوياً بالسند الذي ظن أنه وجده في الكنيسة، فإن «امبراطور الفرنسيين يتخذ بشكل حازم موقفاً ضد «الأيديولوجيين» والفكر الحر. فمرسوم سنة 1880 أعاد من جديد تشكيل سجون الدولة، حيث اعتقل «المشبهين» كما كان الأمر سابقاً في الباستيل. وهناك مكتب للصحافة بادارة «فوشيه» يعطل الجرائد بالعثرات ويقرر انه يحق النشر فقط، لمن يجوزون ثقة الحكومة.

فهذه الديكتاتورية يبدو انها كانت متأكده من ذاتها، في وقت كانت الكنيسة تعلم في كتاب التعليم الديني «الواجبات نحو الامبراطور»، وفي وقت اختطف فيه البابا وسط الليل في عربة مغلقة، فاستسلم لتوقيع «اتفاقية فونتبلو». لكن بالطبع نظام الحكم المطلق ينهار حالما تحل الانكسارات محل الانتصارات. وما أن سقطت الامبراطورية، حتى قام الكهنة الذين أيدوا نابوليون أنفسهم بتأييد لويس الثامن عشر. وإن الفكر الحر سوف يجد نفسه مهدداً، خلال قرن كامل، بالسابقة التي خلقها على أثر إصابته بالحكم المطلق الامبراطوري.

الحواشي

- (1) ميشليه ج. (Michelet Jules) (باريس 1798 - هير 1874). وهو مؤرخ وكاتب فرنسي. اهتم كثيراً بفلسفة التاريخ وبالماضي الوطني لفرنسا، فكتب تاريخ بلاده - فرنسا. وقد قطع علاقته بالكاثوليكية وطور أفكاره الديمقراطية في دروسه التي كان يلقيها في الكوليج دي فرانس منذ العام 1838. وليفهم تاريخ الملكية كتب تاريخ الثورة الفرنسية الملتزم والملمم والمليء بالحماس وأيضاً بالمعطيات (سبعة أجزاء). وهو عالم في إهاب فنان، فعمله التاريخي مفعم بالبطولة والرومنطيقية لدرجة الشاعرية.
- (2) الملك - الشمس (Le Moi - soleil - louis XIV) وهو لقب للملك لويس الرابع عشر الذي كان يحكم بمجسداً الارادة الآلهية.
- (3) سجن الأشغال الشاقة (galères)، وهي عقوبة من كانوا يحكمون بالتجذيف في مراكز الدولة الشراعية الحربية، حيث العمل بمثابة الأشغال الشاقة.
- (4) الجنسينيين (Les Jansénistes) التي تأسست عام 1651، وهي مذهب جنسينوس (اسقف اير 1585 - 1638) المتعلق بالنعمة الإلهية والجبرية - حركة دينية وفكرية أثارها أتباع هذا المذهب الأخلاقي المسيحي المتشدد.
- (5) الجزويت (Les jésuits)، واليسوعيون، وهم أعضاء جمعية يسوع، جماعة تأسست في العام 1524 من قبل انياس دي لا يولا.
- (6) فولتير (François Marie Aranet dit Voltaire) (باريس 1694 - 1778)، وهو كاتب فرنسي من البورجوازية الباريسية، معروف كصاحب فكر حاد وشاعر. أعجب بالنظام الليبرالي الانكليزي (Lettres philosophiques). كتب العديد من المسرحيات والقصص لترويج آرائه الفلسفية، كما دمج بيانات ضد الدين وقام بمداخلات لضحايا التعصب. كما ناضل في كتاباته ضد الخرافة (Traité sur la tolérance) وتناول بجرأة النقد الأدبي والاجتماعي والديني (Le Dictionnaire philosophique 1764).
- (7) وقد اعتبر «الانسان العالمي» وبطل التسامح»، فعد من سويسرا إلى باريس، حيث انتخب مديراً للأكاديمية الفرنسية وتوفي عن 84 عاماً. كان يشر بالتاليهية (Deisme) المضمونة بالعقل والنفع للمجتمع، فاقترح السعادة الأرضية. ويعتبر من الممهدين للثورة الفرنسية.
- (8) الباستيل (La Bastille) وهي قلعة اتخذت سجناً ورمزت إلى الحكم المطلق الاقطاعي الملكي للبلاد والاستبداد. وقد بدىء بنائها في باريس أيام شارل الخامس. وقد دمرت في 14 تموز 1789 من قبل المتظاهرين أيام الثورة الفرنسية.
- (9) ديدرو (Diderot Denis) (لانقر 1713 - باريس 1784) وهو كاتب وفيلسوف فرنسي ينتمي إلى البورجوازية النعمة. بعد حياة بوهيمية كرس نفسه وحياته ولانسكرلوبيديا، التي أشرف عليها وأدارها منذ العام 1747 حتى العام 1766. كان يرغب حسب تعبير غوته في «إثارة العقل». انتقد من التاليهية (Pensées philosophiques) إلى المادية المتحدة (Lettres sur les aveugles à l'usage de ceux qui ne voient 1749) إنما غير الميكانيكية لهلفيتوس. وكان من أنصار أخلاق الطبيعة وحرية الإنسان. وكانت الطبيعة بالنسبة إليه بمثابة قوة إلهية. ويعتبر من الممهدين الثورة الفرنسية.
- (10) فنسين (Vincennes) وهي مدينة في القال دومارن، عدد سكانها اليوم حوالي 45 ألف نسمة.
- (11) هولباخ (Holbach Paul Henri) (بالاتينا 1723، باريس 1789). فيلسوف فرنسي. شارك في الانسكرلوبيديا. كان مادياً ميكانيكياً وملحداً (Système de la nature 1770) وله مؤلفات ضد الدين (Le christianisme dévoilé 1767) ويعتبر من الممهدين للثورة الفرنسية.
- (12) روسو (Rousseau Jean - Jaques) (1712 - 1778). كاتب فرنسي من جنيف. يفضح في كتاباته سيئات المجتمع التي تجعل الانسان اكثر سوءاً مما هو عليه بالطبيعة: (Discours sur l'origine et le fondement de l'inégalité Parmi les hommes).
- (13) في العقد الاجتماعي (1762) يعلن انه بجانب النظام الديمقراطي. سوف يكون لآرائه كبير التأثير على الثورين الفرنسيين في العام 1789. وبالنسبة للدين فيترك اختياره بعد الثامنة عشر وبحرية (Emile).
- (14) براءة نانت (Edit de Nantes 1598). وهي تسوية وضعت في العام 1598 من قبل هنري الرابع ليضع نهاية للحروب الدينية. وقد قضت أن يكون ملك فرنسا كاثوليكياً لكنه يسمح للبروتستانت بحق ممارسة ديانتهم والاجتماع وتحصين مدنها على أن الملك

لويس الرابع عشر، رغبة منه بتحقيق الوحدة السياسية والدينية للمملكة ألغى هذه الحريات عام 1685، وكان قاسياً هذا الأمر بإلغاء براءة نانت (Révocation de l'Edit de Nantes).

- (13) Isambert, XXII, 272 - 274
- (14) مارمونتيل (Marmontel Jean - François) (بوولي اورغ 1723 - ابلونفيل 1799). وهو كاتب فرنسي اجتذبه فولتير إلى باريس. اشتهر في القصر ثم أوروبا بقصصه وروايتين عقائديتين: الأولى Bélisaires (1767) تشيد بالتسامح والثانية Les Incas (1777) يندد فيها بالرق.
- (15) التالهيية (Deisme). وهو مذهب التالهي الذي يقر بوجود الله وينكر الوحي والآخرة.
- (16) Cité dans La visse, Hist. de France, VIII, 2,336.
- (17) كالاس (Calas Jean) (لاكابريد 1698 - تولوز 1762) تاجر كاليفني من تولوز. انتحر ابنه البكر شفقاً فأخفى الأمر. اتهم بأنه قتل ابنه للحيلولة بينه وبين التحول إلى الكاثوليكية. فحكم بالتعذيب على الدولاب وأعدم. عائلته بمساعدة فولتير وإيلي بدمون تمكنت من البرهنة على الخطأ القضائي وإعادة الاعتبار له (1765)، وأصبحت قضية كالاس مثلاً لعدم التسامح (التعصب) وملاحقة الكاثوليكية للبروتستانت.
- (18) سيرفن (Sirven Pierre Paul) (كاستر 1709 - سوبر 1777). بروتستنتي فرنسي. انتحرت إحدى بناته (1762) فاتهم بقتلها فلجأ إلى سويسرا. حكم بالإعدام غياباً، إنما بفضل فولتير أعيد له الاعتبار من قبل برلمان (محكمة) تولوز عام 1771.
- (19) مونتسكيو (Montesquieu Charles de Secondat)
- (20) (قصر بريد، بورديو 1689 - باريس 1755). وهو مفكر وفيلسوف وأخلاقي فرنسي. اشتهر بذهنه الوقاد. واشتهر بأنه من أصحاب نظرية الختمية. درس التنظيم السياسي بذهنه الوقاد. واشتهر بأنه من أصحاب نظرية الختمية. درس التنظيم السياسي لمختلف الأمم. اشتهر بكتابة روح القوانين (1748). كان مفكراً حراً. كما كان لأفكاره حول الحريات وضمانها الدستوري، وبشكل خاص بفضل السلطات تأثيرها على مشرعي المجالس الثورية.
- (20) هلفيتيوس (Helvétius claud André)
- (باريس 1715 - فرساي 1771). فيلسوف فرنسي، شارك في الأنسكلوبيديا. قدم فلسفة مادية جسوية (نسبة إلى المذهب القائل بأن جميع الأفكار ناشئة من الاحساسات). ملحده، مركزاً على الدور الرئيسي للمجتمع في تربية وتكوين الإنسان (De l'Es- prit 1755).
- (De l'homme et de ses facultés intellectuelles et de son éducation 1772).
- Voir l'hommage à Jésus dans le Dict. philosophique, article «Religion».
- (21)
- La Contagion sacrée
- (22)
- Lettres Persannes, 85.
- (23)
- Traité sur la tolérance
- (24)
- Encyclopédies art, «Persécuter»
- (25)
- De l'homme IV, 18
- (26)
- Contrat social, IV, 8.
- (27)
- Tranité sur la tolérance, VI, XXII
- (28)
- XXII, 10
- (29)
- Traité sur la Tolérance IV
- (30)
- Dialogue entre A,B,C,G
- (31)
- Article Tolérance
- (32)
- système social, II, 5.
- (33)

- (34) تورغو (Turgot Robert) (1727 - 1781). وزير ملك فرنسا لويس السادس عشر، أراد الصراع ضد فقر الشعب وتحسين مالية المملكة. شجع تورغو حرية التجارة، وحاول انقاص الضرائب وتعدد نفقات الدولة. إنما اصلاحاته لم ترض أصحاب الامتيازات. فأبعده الملك في العام 1776.
- (35) *Mémoire au roi* (juin 1775)
- (36) الماسون - الاحرار (Franc - Maçons) المنتمون إلى الماسونية (Franc - Maçonnerie)، وهي جمعية دولية، شبه سرية، تقوم على المساعدة والمواتنة والمحبة. يعرف أعضاؤها بعضهم البعض ببعض الإشارات والرموز.
- (37) Voir notamment Aulards Hist. politique de la Révolution Française, p. 44.
- (38) وهم الكهنة الذين لم يحلفوا بيمين الولاء للنظام المدني الذي طبق على الأكليروس في عهد الثورة الفرنسية.
- (39) الشوان (Les Chouans) وهم الثوار الملكيون غربي فرنسا خلال الثورة الفرنسية الكبرى، فيشكلون ما يمكن اعتباره الثورة المضادة آنذاك. ومعظمهم كان من الفلاحين الموالين للملكية، وقد رفضوا أن يكونوا جنوداً في جيش الثورة. وقد انضم إليهم جنود المنطقة (برتاتيا، نورمانديا، فاندية).
- (40) التقويم الجديد الذي صدر أيام الثورة مستبدلاً أسماء الأيام والشهور ببديل لها مستمد من أدبيات الوثنية اليونانية في إطار عبادة الكائن الأعلى (l'Être Suprême) كتجسيد العقل والعقلانية وكبديل للدين. وفيها يلي لائحة مقارنه باللغتين: التقويم الجديد - الجمهوري الذي حل محل العمل الغريغوري أخذ به في فرنسا من 24 تـ حتى الأول من كـ 1806.
- أسماء الأشهر حسب التقويم الجمهوري والغريغوري

Calendrier	Republicain	Calendrier Gjrégorien	عربي
عربي	فرنسي	فرنسي	كانون ثاني
بلوغيوز	Pluviôse	Janvier	شباط
فاندوز	Vendôse	Février	آذار
جرمينال	Germinal	Mars	نيسان
فلوريال	Floréal	Avril	أيار
بريريال	Prairial	Mai	حزيران
ميسيدور	Messidor	Juin	تموز
ترميدور	Thermidor	Juillet	آب
فروكتيدور	Fructidor	Août	أيلول
فاندومير	Vendemaire	Septembre	تشرين الأول
برومير	Brumaire	Octobre	تشرين ثاني
فرمير	Frimaire	Novembre	كانون أول
نيفوز	Nivôse	Décembre	

وكانت الأشهر مقسمة إلى ثلاثة أقسام وأسماء الأيام مستمدة مباشرة من أرقامها. primidi, duodi, tridi, quardi, quintidi, sextidi, septidi, octidi, nonidi et decadi.

- بمعنى اليوم الأول والثاني والثالث... حتى العاشر.
- (41) حالة من لا يتصف بالميزات الوطنية.
- (42) اولار (Aulard) مؤرخ فرنسي اشتهر باهتمامه بالثورة الفرنسية.
- (43) الجيرونديين (Les Girondins) وهم أعضاء مجموعة سياسية في أيام الثورة الفرنسية، ومدنيون باسمهم إلى رؤسائهم الأوائل نواب منطقة الجيروندي في الجمعية التشريعية. أسسوا الحكومة في آذار 1792، أرادوا أن يطوقوا حريات المواطنين وسلطة المناطق.

- امام الجمعية التأسيسية يزجهم الجلبون من السلطة ويساقون إلى المقصلة مع رؤسائهم (1793). بلغه اليوم هم يمين الثورة الفرنسية بالفرنسية لليعاقبة (Les Jacobins)
- (44) كوندورسيه (Condorcet Marie Jean Antoine Nicolas de Caritat, marquis de) (ربون 1743 - بورلارين 1794.
- فيلسوف ورياضي ورجل سياسة فرنسي من أنصار الفيزيوقراطيين. كتب للانكلوبيديا مقالات حول الاقتصاد السياسي. أيام الثورة كان نائباً في الجمعية التشريعية وفي الجمعية التأسيسية. اقترح مشروع اصلاح تربوي (1792). أوقف كجبروندي أثناء الارهاب، حُكم بالإعدام فسم نفسه لينجو من المقصلة.
- (45) متكرون (Pierrots) بيارو/ رجل متكرر بلباس مهرج في المسرحيات اليمائية.
- (46) نفير (Nevirs) مدينه عند ملتقى نهري اللوار، النيفر، سكانها اليوم حوالي 50 ألف شخص.
- (47) فوشيه (Fouché Joseph)، (بانوف 1759 - تريست 1820). وهو رجل سياسة فرنسي. انضم إلى الثورة الفرنسية، انتخب في الجمعية التأسيسية (1792). جلس مع الجلبين وصوت على اعدام الملك. شخصية متأمره ومن دون رادع. كان من منظمي الارهاب وأصبح وزيراً للشرطة بفضل باريس فيما بعد خدم بونابرت، سبياً في انتفاضة 18 برومير. انهى حياته في تريست بعد حصوله على الجنسية النمساوية.
- (48) شوميت (chaumette Pierre Gaspard)
- (نفير 1763 - باريس 1794). رجل سياسة فرنسي عضو نادي الكورديلييه ومحامي الدفاع لدى بلديه باريس المنتفضه (1792). شارك في لجان ايلول 1792، وفي حركة الخروج من النصرانية، وفي إقامة حفل العقل (أواخر 1793) اقترح تدابير ديمقراطية في ميدان التربية والصحة العامة. أوقف وأعدم مع الهبرتين المتطرفين.
- (49) بمعنى ليركوا الاكليروس ويصبحوا مدينين.
- (50) كما للالهة الوثنية.
- (51) شنيه ماري - جوزيف (Chénier Marie - Joseph) (القسطنطينية 1764 - باريس 1811). وهو رجل سياسة وكاتب فرنسي، مفعم بروح الثورة. كذلك هو عضو في نادي اليعاقبة ثم الجمعية التأسيسية ولجنة الخمس مائة. وقد كان من أنصار بونابرت، فعين أيام الامبراطورية مراقباً عاماً للجامعة.
- (52) الهبرتين (Les hébertistes) نسبة إلى الهبرتيه (Hébertisme) وهي نظام للرياضة البدنيه، عرف باسم واضعه هير ويعتمد الالتحام بالطبيعة. وهذا أمر هو في واقع الحال عكس ما أصبحت عليه الرياضة اليوم.
- (53) روبسبير مكسيميليان (Robespierre Maximilien) (1758 - 1794). وهو رجل سياسة فرنسي أيام الثورة الفرنسية الكبرى. وهو نائب الارنوا في العام 1789، ثم نائب في الجمعية التأسيسية. كما هو أحد أعضاء الجلبين. طالب بإعدام الملك لويس السادس عشر أعدم في 2 1793). في العام 1794 ودفاعاً عن الثورة المهددة على حدودها بانتفاضة القانديه يأخذ روبسبير بسياسة الارهاب، فيبعث بعض خصومه إلى المقصلة (دانتون، دي مولان)، لكنه يؤمن بدوره في التاسع من ترميدور السنة الثانية للثورة (27 تموز 1794) ويساق إلى المقصلة ليعدم في اليوم التالي.
- (45) اليعاقبة (Les Jacobins) وهم مجموعة ثورية قامت في العام 1789 بتأليف نادٍ لها. وقد ساهم هذا النادي بنشر الأفكار الثورية في كل فرنسا. ثم شيئاً فشيئاً سيطر عليه روبسبير وأصدقائه الجلبين. وقد كان دورهم كبيراً أيام الجمعية التأسيسية، انما زالوا مع سقوط الجلبين. وبلغه سياسة اليوم فقد شكلوا يسار الثورة الفرنسية، في حين شكل يمينها الجبرونديون. وقد شكل اليعاقبة مع «الكوردولية» حزب الجبل المشار إليه كما كانت غالبيتهم من الانتلجنسيا ومثلوا مصالح البورجوازية الصغيرة في المدن والفلاحين في الريف.
- (55) دانتون (Danton Gorge - Jacques) (ارسيس سور اوب 1759 - باريس 1794) رجل سياسة فرنسي. منذ العام 1783 انحاز إلى الثورة ودخل في الحرس الوطني وانتخب رئيساً كنادي الكورديلييه (الاسكانيون). كان خطيباً مفوهاً واشتهر بذلك، لم يحاول إيقاف مجازر ايلول 1792 عندما كان وزيراً للدولة انتخب في الجمعية التأسيسية، فترك مهمة وزير العدل وجلس إلى جانب الجلبين. حوكم من قبل الجبرونديين مع مارادو وروبسبير طالب بانهاء الارهاب. حكم بالإعدام من قبل المحكمة الثورية.

- (56) اللامتسولون (Les Sans - culotes) وهو لقب الثوار الفرنسيين عام 1793، ويعني العاري أو شبه العاري. وقد فضلنا استعمال العاري بدلاً من اللامتسول وهي أكثر تعبيراً.
- (57) كوتون (Couthon Georges) (أوفري 1755 - باريس 1794). رجل سياسة فرنسي، انتخب عضواً في الجمعية التشريعية حيث جلس مع اليسار الديمقراطي، ثم أعيد انتخابه كجيلي في الجمعية التأسيسية وأصبح عضواً في لجنة السلامة العامة. أصبح رئيساً للجمعية التأسيسية فأخذ يناضل ضد المهربتين (الثوريين المتطرفين) والوانتوين (المعتدلين)، أعدم مع روبسيير.
- (58) بارير (Barère de vienzac Bertrand) (تامب 1755 - باريس 1841). رجل سياسة فرنسي. معتدل في البدء. انضم فيما بعد أيام الثورة إلى الجبليين. صوت على إعدام الملك عضو في لجنة السلامة العامة نظم الارهاب. وقف في وجه روبسيير وشارك في إسقاطه وإعدامه. لم يعد إلى فرنسا إلا بعد ثورة 1830.
- (59) حكومة المديرين أو القناصل (Le Directoire) في فرنسا في أواخر أيام الثورة وقبل الامبراطورية.
- (60) محبي الرب (Theophilanthropes) بالنسبة إلى عجة الرب (Theophilanthropes)، وهو موقف فلسفي قائم على الإيمان برب قادر طيب من غير عبادة.
- (61) بمعنى خاضع للبابا.
- (62) لا أدري (Agnostic) من اللادريه (Agnosticism) وهو مذهب اللادريين القائلين بانكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة.
- (63) نص المادة 6 من الاتفاقية المعقودة مع الكرسي الرسولي (معاهدة البابا).